مولانا رئيسًا..

«وحسْبُكم الإخلاص فيْ نيّاتكم، وتنفيذ ما يأمركم به، بصرف النظر عن مستوىٰ إدراك عقولكم، تاركين النتائج له وحده»

- «آلو.. السلام عليكم يا أخي، ضروري تروح بكرة شغلك وتقدِّم استقالتك»

فَاجَأَني مولانا بهذا الاقتراح الذي هو في الأصل أمرٌ غير قابل للنقاش أو التحاور..

لكن لماذا أترك عملي بعد كل هذه السنوات التي قضيتها؟!

نعم ما أتقاضاه لا يُسمن ولا يُغني من جوع، وكلما تحدثنا عن تحسين أوضاعنا قيل لنا إن المنظمة محدودة الموارد، وهذا الأمر ليس ممكنًا؛ ولأن الشيء بالشيء يُذكر، فإن والدي- بارك الله في عمره- طالما وضع النقود في أمتعتي علىٰ حين غفلة مني، فقد كنت أرفض رفضًا تامًا إلا أن أعتمد علىٰ نفسي.. أُبدي ضجري وأسفي لهذا التصرف، وفي النهاية آخذها إنْ طائعًا في نفسي، وإنْ مُرغمًا بالفعل.

لولا أننا نعيش في مجتمع لا يرحم؛ لاخترت الجلوس في بيتنا والأكل مما تنبتُ الأرض من بقلها وقثائها، نزولا علىٰ رأي أبي الذي طالما قال إن وقتي في هذا العمل ضائع لا طائل من ورائه، وكم طلب

مني استكمال دراستي العليا علىٰ أن يمنحني أضعاف ما أتقاضاه.

ليس هذا موضوعنا..

إن دهشتي لم تطل كثيرًا، فقد علمت منه أن الدكتور محمد المختار المهدي- الرئيس العام للجمعية الشرعية- قد طلب إليه أن يترأس تحرير (مجلة التبيان)، وبناءً علىٰ ذلك رغِبَ مولانا أن أكون معه سكرتيرًا للتحرير، ويبدو أنه تحدَّث حينها مع المهدي في شأني، فوافق نزولا علىٰ اقتراح سيدنا المُلزِم، رغم وجود كفاءات كثيرة في المجلة آنذاك أمثال إسلام فرحات الذي كان يعمل سكرتيرًا للتحرير، والأستاذ حسين أحمد الذي عمل مديرًا للتحرير بعد ذلك.

شكرتُ لمولانا ثقته وصنيعه، واعتذرتُ رغم سخاء العرض المقدَّم، فقد أغراني براتبٍ آخر من جيبِهِ الخاص فضلا عن راتب الجمعية الضئيل، فحزَّ ذلك في نفسه ووصفني بالعقوق وصلابة الرأي في غير موضعها.

كان لابد من صياغة تقرير يُمثِّل رؤيته الجديدة لتطوير المجلة لعرضه علىٰ الشيخ المهدي فجلسنا نتصفح بعض أعداد جَلَبَها عند مقابلة الإمام، وندون الملاحظات حتىٰ تم إنجاز التقرير وإرساله.

لم تكن مهمة رئاسة التحرير بالأمر الهين، فقد واجه الدكتور عويس عدة صعوبات ذلَّلها بكثير من الحكمة والتأنِّي، فهناك اتجاه داخل الجمعية بقيادة أمينها العام الدكتور رضا الطيب يُصرُّ أن تظل المجلة لسان حالها المعبر عن أنشطتها وفكرها، بحيث لا تخرج عنه قيد أُنملة، لكن رئيس التحرير الجديد يرىٰ في ذلك اختزالًا غير مقبول

لدور المجلة التي لا يمكن أن تتوقف عند هذا الحدِّ، فبدأ في زيادة الجرعة الثقافية والفكرية، وهو ما رآه البعض تقليلًا من شأن الجمعية وخروجًا عن المألوف لديها، حتىٰ جاء الوقت الذي رضخ فيه الجميع بعد النجاح الملموس الذي حققته المجلة.

فضلا عن الارتقاء الموضوعي بالمجلة، شهدت طفرة ملموسة في تقْنيَات إخراجها بحيث أصبحت أكثر إبهارًا من ذي قبل، وارتقىٰ أسلوب الكتابة لينتقل من اللغة التقريرية الجافة إلىٰ اللغة الإبداعية الرشيقة، واستُحدثت أبواب أكثر ارتباطًا بالواقع عن المرأة والطفل والأدب والتحقيقات الصحفية الآنية، والتقارير السياسية، وباب آخر عن الشريعة والقانون، وصار هناك اهتمام أكثر بقضايا العالم الإسلامي وواقعه الملموس.

كان يراجع المجلة كلمةً كلمةً، ويُعمل فكره وقلمه حتىٰ تُتاح للقارئ في أجمل حُلَّة وأبهىٰ صورة.

بذل الرجل جهودًا مُضنية غير مسبوقة حتىٰ يُخرج المجلة من القُطْرية الضيقة إلىٰ العالمية الفسيحة، فبدأ في استكتاب شخصيات من خارج مصر أمثال المؤرخ العراقي الدكتور عماد الدين خليل، والمفكر الجزائري الدكتور محمد الهادي الحسني، كما أتاح مساحات بالمجلة لإسهامات الطلاب من خارج العالم الإسلامي لا سيما الهنود.

بدأت المجلة تعرف طريقها إلىٰ العالمية بتوزيعها بريديًا بالمجان علىٰ كثير من رموز الفكر والأدب، فضلا عن إرسالها إلىٰ المؤسسات

والمنظمات الدولية والهيئات الحكومية خارج مصر، وكان من عادته أن يصطحب معه أعدادًا كثيرة من المجلة لتوزيعها في المؤتمرات والمحافل العالمية الكبرىٰ.

ليس هذا فحسب، بل بحث عن دور آخر أوسع نطاقًا للمجلة، فكانت فكرته بعمل ندوة شهرية باسم المجلة تتناول الموضوعات الحيوية والآنية، وظلَّ حريصًا علىٰ حضور الندوة وإدارتها حتىٰ في أشدِّ لحظات مرضه.

ويوم رُشِّحَت الجمعية الشرعية للحصول علىٰ جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام للعام 2009، وضع في الاعتبار وجود مجلة فكرية ناطقة بلسان حال الجمعية إضافة إلىٰ أعمالها الخيرية في مصر والعالم، ولا سيما جهودها الإغاثية في قطاع غزة عقب الاعتداءات الصهيونية الغاشمة.

ظل مولانا يتابع عمله بالمجلة حتىٰ اشتد عليه المرض قبل وفاته، فأراد أن يتخلَّىٰ عن عمله لعدم مقدرته، فرفض الشيخ المهدي، وأخذ علىٰ عاتقه مراجعة المجلة مكتفيا من مولانا بكلمة رئيس التحرير، فظل مداومًا عليها حتىٰ كان في مرضه الذي قضىٰ فيه، فاستدعىٰ الصديق محمد الحداد ليملي عليه مقاله الشهري، ولم تفلح محاولات الأطباء في العناية المركزة في منعه من الكلام، بل من العمل.. فكتب مقاله..

رحمه الله، كم كان محبًا لعمله ورسالته.